على طريق الأصالة

(٣٤)

مسئوليتنا نحن المسلمين

إزاء أزمة البشرية المعاصرة

أنور الجنـدى

مسئوليتنا نحن المسلمين

إزاء أزمة البشرية المعاصرة

إن على أمتنا وهى تتطلع إلى إقتعاد مكانها وامتلاك إرادتها أن تكون قادرة على بناء أجيالها الجديدة على الثقة الكاملة بقدرة الاسلام وحده على استرجاع مجدها والايمان العميق الذى لاتخالطه ذرة من شك أو ريب فى صلاحية رسالته وخلودها وتفوقها وأنها الرسالة الوحيدة التى تحقق للبشرية الامن والسكينة وليس غيرها مهما دار الباحثون حول المناهج البشرية والايدلوجيات فانهم لن يجدوا هذا العطاء الذى يتطلع إليه أهل هذا الكوكب اليوم أكثر من أى يوم قبل ذلك فى يقين لايشوبه شك بأن الإسلام هو وحده القادر على إنقاذ أهل الأرض جميعاً من دمار مهلك بعد هذه الأزمات الطاحنة والعلامات الواضحة التى تومى إلى الخطر الماحق مالم تعد هذه البشرية إلى الإسلام بعد ان تصدعت النظريات والدعوات وأوفت كلها على الغاية التى أوقت إليها حضارات اليونان والرومان والفرس والفراعنة من قبل وحين تتضح هذه الصورة أمام الناس جميعاً اليوم نجدنا نحن المسلمين أصحاب المسئولية الأولى لأن نقدم للناس هذا المنهج الطاهر الوضىء المشرق (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) .

وإذا كنا نحن المسلمون طلائع هذا الفتح وليس غيرنا فيجب أن ننشيء أجيالنا الجديدة على ذلك الإيمان الوثيق والثقة الكاملة بأن ما نقدمه هو أشرف وأنقى وأطهر ما ينقذ الحضارة العالمية من الانهيار ويرد البشرية كلها إلى الله تبارك وتعالى بعد أن أبقت وأعرضت حتى زلزلت الأرض من تحت أقدامها .

إنه (القرآن الكريم) كتاب الله وكلمته الأخيرة الباقية الخالدة إلى أن تقوم الساعة ، النص الموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو منطلق هذه المسيرا وسنادها وعمادها ومادتها، من خلال النموذج الحى المتمثل فى سنة رسول الله ﷺ وسيرته الباقية على الزمن نبراسا للتطبيق وأسوة حسنة لمن يريد أن يجد طريقه الصحيح .

ومن هنا كانت دعوتنا إلى بناء الأجيال الجديدة على فهم ويقين وإيمان بهذا الموروث الخالد الذى اختص الله تبارك وتعالى به المسلمين، ودعاهم إلى تبليغه للعالمين فغفلوا عن ذلك وأعرضوا وأوغلوا فى تقبل مفاهيم الأمم التى لم تكن فى حقيقتها إلا ركام الزيف وحصاد الهشيم وقبض الريح .

وإلى أن ينكسر هذا التيار المغرب ويتراجع فنحن فى حاجة دائمة إلى موالاة كشفه والتحذير من خطره وتزييف مقولته ودحض شبهاته ودرأ خطره ، فليس هناك من طريق اليوم بعد أن تحطمت كل الخطط

إلا طريق الله تبارك وتعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

إننا فى عصر تتهاوى فيه كل الأضاليل وتنكشف كل الأكاذيب ويضىء نور الاسلام فى كل القلوب وعلى كل الاقلام كاشفاً عن صحائح الأمور وحقائقها التى لايمكن ان تخفى أو تخدع .

لقد غرب تماما أو أوشك على الغروب منهج الدعاة إلى التوفيقية المضللة ، أو إلى ماسوى منهج القرآن من أسلوب فلسفى أو معتزلى أو باطنى ، تلك مرحلة قد مضت بخيرها وشرها ، وانكشفت اليوم الحقائق تحت ضوء باهر ، أن الخطوة الحاسمة هى اليقين بأن هذه الحضارة لن تعطى المسلمين شيئاً وأن هـذا الفكر البشري لايسوق الناس إلا إلى الدمار .

إن «المنهج القرآنى» هو منطلقنا الحقيقى، بأصوله العلمية الجامعة بين العقل والوجدان والقادرة على الكشف عن فساد الفلسفات الغربية ومصادرها اليونانية من فلسفة أرسطو وأفلاطون وغيره ، لقد جاء دور تحرير المفاهيم الاسلامية من محاولات احتوائها من خـلال فلسفات ومناهج الغرب .

أننا فى حاجة إلى شحنة من الثقة والاعتزاز بالاسلام دينا وبالقرآن منهجا مع سمو النظر وقوة العاطفة إيمانا بخلود الرسالة المحمدية وقيادة

صالحها لكل زمان ومكان وانهيار كل المناهج التى حاولت أن تفرض نفسها منذ ثلاثمائة عام على البشرية وعلى المسلمين فلم تحقق إلا الخيبة والفشل والهزيمة ولم تترك من إثارها فى نفوس أهلها إلا الغربة والغثيان والانتحار والدمار .

إننا مطالبون الآن بأمرين : تجديد التراث الاسلامى وإبرازه لهذه الأجيال الجديدة حتى تزداد ثقة فى صلاحية عقيدتها وقدرتها على إعادة العطاء والبث من جديد بعد أن أمدت البشريه ألف عام كاملة متصلة بنور للقرآن والسنة بما دفع ركب الحضارة إلى ميادين الخير والعدل والاخاء البشرى .

الأمر الثانى : تصحيح المفاهيم وكشف انحرافات المناهج الغربية فى شتى ميادين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية جميعاً إيماناً بالذاتية الخاصة للأمة الاسلامية التى تعجز كل العواصف أن تقضى عليها أو تنال منها ، مهما بدا أنها قبلتها أو رضيتها ، ذلك لأن الاسلام أعطى هذه الأمة علامتين حاسمتين لا تتوقفان عن البث

أولاهما : أن الجسم الاسلامى لا يقبل العنصر الغريب ويرفضه دائماً وأن البذر الغريب لا تنبته أرض الاسلام ولا يستطيع أن يثبته مهما بدأ فى ظاهر الأمر .

ثانيهما : أن الروح الاسلامى قادر على تجديد نفسه من الداخل عندما تعتوره الأزمات . إن الحقائق التى يطرحها العصر اليوم هى أكبر من كل محاولات الاستشراق والتغريب ، وهى حقائق تؤكد أرادة الله تبارك وتعالى فى توجيه البشرية إلى ضياء الحق وإن أول هذه الحقائق يؤكد ويثبت السلطان المطلق للدين الحق على كل الثقافات والمعارف والمناهج البشرية القائمة على أهواء الفلاسفة والزعماء من القوى الكبرى .

وأن الاسلام – بوصفه الدين الوحيد صاحب النص الموثق – القرآن الكريم،هو القادر على (دفع) البشرية بل هو الفاعل فى حركة التاريخ البشرى كله وأنه من أكبر الأكاذيب التى طرحت على الناس القول بوجود ثقافة عالمية يشترك فيها جميع البشر ، وأن الايمان بالله هو وحده الذى قسم العالم إلى اصحاب منهج إسلام الوجه لله ومن استغلوا بغرورهم عن التماس منهج الله تبارك وتعالى .

وإن الذين فرحوا بما جاءهم من العلم واشتغلوا بغرورهم فى قدرة العلمانية أو الجنس الابيض أو المستغنين عن التوجيه الإلهى فقد ظلموا أنفسهم وسوف يرتدون على أدبارهم خاسرين .

* * *

إن هناك محاولة لتوجيه (أصالة الاسلام) الواضحة الراسخة

نحو التحريف عن طريق مؤتمرات تعقد وكتب أنيقة تصدر وأسماء لامعة تستغل وبمصطلحات تطرح ، وهناك ما يتعرض له الإسلام والفكر الإسلامى اليوم من كتابات معدة من أولياء القوى الثلاث أو إحداها (الاستعمار أو الصهيونية أو الشيوعية) كل هذا يوحى بأن هناك محاولة لفرض تصور زائف باسم الإسلام على مختلف القضايا المثارة فى المجتمع الإسلامى بدعوى أن الإسلام (مجموعة أفكار تراثية) أو عزل الإسلام عن مفهومه (عقيدة ونظام) أو إعلاء شأن الثقافة وتخفيف شأن الجهاد والأمر بالمعروف ، أو إلصاق تهمة التطرف والعنف فى محاولة للالتقاء مع المصالح الاستعمارية وحماية نظام الربا والنهب العالمى وحتى لا تحل المرحلة التى تمكن المسلمين من امتلاك إرادتهم وهى محاولة فى مجموعها ترمى إلى تعجيز الإسلام عن انطلاقته وكسر قوائمه وتحديد حركته فى دائرة ضيقة مغلقة .

إن حاجتنا اليوم إلى شحنة جديدة من الثقة والاعتزاز بأن لا صلاح للبشرية إلا بهذه الرسالة المحمدية وقيادتها وقيادة صاحبها لكل زمان وتحرير المسلمين من أغلال قيود التغريب والغزو ونفوذ الأممية العالمية .

أخطر ما هو مطلوب منا فى العقد الأول

من القرن الخامس عشر

علينا أن تقدم منهجنا للبشرية ونتحرر من التبعية

قدم الإسلام للبشرية المنهج الربانى القادر على إسعادها وحل مشاكلها وحمايتها من التمزق النفسى والصراع الطبقى والانحراف الخلقى ، وقد نضده فى منظومة بارعة واسعة الآفاق مرنة الجوانب قادرة على العطاء فى مختلف العصور والبيئات (من لدن حكيم خبير) قوامها :

(أولا) وحدة الالوهية فالله تبارك وتعالى هو الخالق الرازق الذى يملك مقاليد الامور كلها ومنه تبدأ وإليه تنتهى ، وهو الذى وهب الإنسان تلك القدرات التى مكنته من اقتحام المجهول وغزو الطبيعة واكتشاف قوانين العلم والصناعة وهداه إلى أساليب السعى فى الأرض وبناء المجتمعات وإقامة الحضارات على هدى من الدين الحق .

(ثانياً) وحدة البشرية (كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل

لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى)

فالإسلام هو الذى انتزع الحمية الجاهلية المتعالية بالأنساب والعروق والدماء ودعا إلى التعارف والالتقاء بين الشعوب والأمم ، وحذر من العودة إلى الصراع القبلى أو التنازع العنصرى أو الطائفى وإن كان لم يرفض الإقليميات والقوميات ولكنه دعاها إلى الالتقاء فى نقطة الأخوة البشرية والوحدة الإنسانية .

(ثالثاً) حرر البشرية من العبودية لغير الله تعالى وانتزع الإنسان من عبادة الأوثان وارتفع به إلى عبادة الله الواحد القهار ، وحرره من الرق الذى أقرته الحضارات القديمة: اليونانية والرومانية والفارسية والهندية والفرعونية ، واعتبره أرسطو وأفلاطون قانوناً أساسياً لبناء المجتمعات حيث السادة فى القمة والكل فى السفح عبيد خاضعون، جاء الإسلام فحرر البشرية من هذه العبودية ودعا إلى أن الكل سواسية كذلك حرر المرأة من العبودية وإعطاها حقها الكامل فى مالها وحركتها ووجودها كله .

(رابعاً) أقام مفهوم الحضارة على أساس العلم التجريبى وجعل مفاتيح العلم :

(اقرأ ، قل هاتوا برهانكم ، انظروا ماذا فى السموات والأرض)

وفتح الإسلام بالقرآن آفاق المعرفة والعلم وقدم للبشرية قوانين

قيام الامم والحضارات وسقوطها، وفى ظل مفاهيمه نشأت علوم الاجتماع والاخلاق والنفس والسياسة والتربية فما من علم من هذه العلوم إلا قدم الإسلام أسسه وقاعدته، هذا فضلا عن العلوم الطبيعية والرياضية والفلك والكواكب والبحار والطب مما هو مدون فى كتب منشورة على شبابنا أن يقرأها وإن عجزت مناهج التعليم فى الجامعات والمعاهد أن تجعلها مقدمات لما وصلت إليه العلوم اليوم ..

* * *

أقام الإسلام المجتمع على هذه الاسس وجعل الشريعة الإسلامية نبراساً للعدل والرحمة. وأقام ضوابطها وجعل حدودها حماية للفرد والمجتمع ثم جاء النفوذ الأجنبى ليحجب هذه المنظومة الربانية ويفرض بقوة القسر وسلطان الاستعمار منهجاً مختلفاً يتعارض فى كثير من مواقفه مع أصول الإسلام حريصاً فى الأساس على هدم قواعد ثلاث :

(١) هدم مفهوم التربية الإسلامية وبناء الفرد .

(٢) هدم مفهوم الوحدة الجامعة .

(٣) هدم مفهوم القدرة على الردع وحماية الثغور والمرابطة وكانت تجربة القانون الوضعى (قانون نابليون) التى حرمت المسلمين

من ضوابط المجتمع التي تحميه من تجاوزات علاقات المرأة والرجل وأخطار الانحراف (الزنا) وتجاوزات علاقات التجارة والزراعة والتعامل الاقتصادي (الربا) وتقطيع أواصر الوحدة الجامعة بإثارة روح التعصب والعنصر والدم من خلال نظريات الإقليميات ، وفتح الباب واسعاً أمام أخطار الحرية الاجتماعية ذات الأثر البعيد المدى أمام حماية النشء والأجيال الجديدة وتقديم مفاهيم مضطربة مختلطة في مجال الأخلاق والنفس والاجتماع وفتح الباب واسعاً أمام وسائل التسلية والترفيه دون الحفاظ على القيم الأساسية للمجتمع السليم .

وكان وراء ذلك قوى خطيرة تعمل من أجل تدمير المجتمعات الإسلامية وإفساد الأجيال الجديدة من الشباب حتى يتاح لها السيطرة الكاملة على هذه المجتمعات واحتوائها ، وقد كتب هذا وعرف من خلال الدراسات المنشورة عن الماسونية والبروتوكولات ومؤامرات المذاهب الهدامة التي ابتعثتها في العصر الحديث قوى تعمل على حرب الدين الحق وتعرية المجتمعات من المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي على النحو الذي تكشفت عنه نظريات فرويد وماركس ودوركايم وسارتر وغيرها من خلال فرض الفلسفة المادية على المجتمعات الإسلامية .

وقد استطاعت هذه القوة أن تنتهز فترة الضعف التي مرت بها

المجتمعات الإسلامية خلال القرن الرابع عشر أن تحقق عدة أهداف خطيرة أهمها :

(١) إسقاط الخلافة دعامة وحدة الأمة الإسلامية .

(٢) السيطرة على بيت المقدس وفلسطين وانتزاعهما من أيدى المسلمين :

(٣) إقامة حواجز الإقليميات وفواصل القوميات فى محاولة للحيلولة دون تلاقى المسلمين تحت لواء واحد ، وإذا كانت عوامل الصراع قد أثارت الخلاف حول علاقة الدين والقومية ، فلقد كان الدين والقومية على مختلف العصور متلازمان متعايشان ويشكلان مظهراً أساسياً لا خلاف فيه ولا صراع معه ، فالثقافة الإسلامية التى تعيشها هذه المنطقة لم تكن يوماً ملكاً للمسلمين وحدهم ، ولكنها هى ثقافة أساسها الدين الربانى والتى تبلورت بالإسلام فى الصورة النهائية وكذلك اللغة .

ولقد كانت أوجه الالتقاء بين أهل هذه المنطقة واسعة وكبيرة وشاملة ، بينما لم تكن وسائل الاختلاف (سواء من ناحية الجغرافيا أو الجو أو العناصر الأخرى) لتمثل إلا مساحة ضئيلة لا تحول دون الالتقاء والتوحد فى سبيل تجديد بناء الحضارة الإسلامية التى شاركت فيها كل العناصر والأديان والأعراق .

لقد استيقظت الشعوب اليوم و تنبهت إلى خطر مؤامرات الفرقة وإثارة الخلافات القديمة التى انطوت وذهبت ، وهبت اليوم نسائم التلاق فى منطقة عرفت الإيمان بالله تبارك وتعالى واهتدت إلى منهجه فى بناء المجتمع على النحو الذى تكامل وتم بنزول القرآن وبمجىء الإسلام (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) .

فالإسلام اليوم قادر على أن يقدم للبشرية الحائرة منطلق هداها عن طريق المنهج الربانى الذى أنزل منذ أربعة عشر قرناً ، وقبل أن يصنع العقل البشرى هذه الأيدلوجيات والمناهج التى لم تكن فى حقيقتها إلا بمثابة فروض وتجارب وقد جاءت فى مواجهة تحديات ورداً على تفاعلات - وكانت إبنة عصرها وبيئتها - ولذلك لم تستطع أن تحقق نجاحاً فى بيئات أخرى انتقلت إليها ، كما أنها لم تستطع الاستمرار إذ سرعان ما أصابها القصور والعجز فى وجه المتغيرات المختلفة التى تذخر بها المجتمعات الإنسانية فاضطر أهلها إلى الإضافة إليها والحذف منها فى محاولة لجعلها قادرة على العطاء ، ومع ذلك فإن البشرية تشكو اليوم من الشكوى من قصور هذه المناهج لأنها مع الأسف الشديد اعتمدت الفلسفة المادية أساساً لها ، فقصرت مفهومها على التصور المادى وتجاهلت تماماً تكامل هذا الجانب فى الإنسان والمجتمع مع الجانب الروحى والمعنوى الذى كان حجبه مصدر تلك الأزمات العصرية الشديدة الخطر ، والتى أودت بحياة الملايين سواء على طريق

الانتحار أم الانهيار أم التمزق النفسى ، فقد كان تجاهل الأيدلوجيات الغربية بشقيها للدين بوصفه المنهج الربانى أثر بعيد فى قصور هذا التصور ، ولو أن هؤلاء الفلاسفة الكبار أتيحت لهم الفرصة الخروج عن الهوى والخصومة ودرسوا الإسلام بإنصاف وحيدة لاءلهم ما حال دون انهيار الحضارة الغربية وهو ما يطالب به أعلام اهتدوا أخيراً إلى الإسلام وأحسوا بالقصور الشديد فى المنظومة الغربية من ناحيتين : من ناحية غياب البعد الربانى للحضارة والبعد الأخلاق للمجتمعات .

ولقد كان حقاً علينا نحن المسلمين ألا ننساق وراء تجربة مضطربة وحضارة تمر بمرحلة الضيق والأفول وأن نقدم منهجنا ليكون ضياء البشرية ونور الإنسانية والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .



رقم الإيداع ٤٥١٤ / ١٩٨٩

مطبعة دار البيان - بعابدين